﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ٤٣﴾ [الحجر: 43]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الوعيدُ للغاوين بأنَّ مكانَ اجتماعِهم أجمعين هو جهنَّمُ

لَمّا أخبر اللّه تعالى أنَّ إبليس ومن اتَّبعه من الغاوين؛ ذكر جزاءَهم بذكر مكانِ اجتماعِهم يومَ القيامةِ، أو: لما أخبر اللّه تعالى أنَّ إبليس ومن يتَّبعه على شاكة واحدة في الغواية؛ أخبر عقب ذلك أنَّهم على شاكلة واحدة في العقوبة وزمانها ومكانها.

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾: أصلُ (وعد): كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَرْجِيَةٍ بِقَوْلٍ لما يوجد مستقبلًا، يُقالُ: وَعَدْتُه أعِدُهُ وَعْدًا، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِخَيْرٍ وَشَرٍّ، فأمّا الوَعِيدُ؛ فَلا يكونُ إلّا بِشَرٍّ غالبًا، يقولونَ: أوعَدتُهُ بكذا[1]. والموعِدُ: مَوضِعُ التَّواعُدِ، وهو الميعادُ، ويكون المَوعد مصدر وعدته، ويكون المَوعد وقتًا للعِدَة، والموعِدة أيْضًا: اسْم للعِدَةِ، والميعاد لا يكون إلّا وقتًا أو موضعًا[2]. والمقصودُ بالمَوعِدِ في الآية: مكانُ الوَعْدِ[3].

المَعْنى الإجْماليُّ:

جهنَّم موعِدُ إبليسَ وكُلُّ مَن اتَّبَعه من الإنسِ والجِنِّ

يُخبر الحقُّ ﷻ بأنَّ جهنَّم موعد جميع من اتَّبع إبليس، فيَصيرونَ إليها في الآخرةِ، وهي مَقرُّهم وبئس المهاد؛ جزاء ما اجترحوا مِن السَّيئات، وكفاء ما دنَّسوا به أنفسهم من قبيح المعاصي[4].

الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

براعة تتابع التأكيد في الآية:

المنهمكُ باقتفاء الغوايةِ ينسى الآخرة ويغيبُ عنه مصيرُه

أفادَ تتابع التَّأكيد بـ﴿وَإِنَّ﴾ واللّام الموطِّئة للقسم، ومجيء الجملة

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (وعد).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (وعد).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/53.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/30، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 431، والمراغي، تفسير المراغي: 14/24.

اسميَّةً - في قولِه: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ - أنَّ من يتَّبِع إبليسَ مُنكِرٌ؛ لأنْ تكونَ جهنَّم موعدهم أجمعين، أو: أنَّه لمّا كان منهمكًا في اقتفاء أثرِ الغوايةِ ومتابعته له؛ كان بمنزلة المنكِر للأمرِ، كما أفادَت ﴿وَإِنَّ﴾ واللّام تأكيدَ ثبوتِ أن تكونَ جهنَّم مكانَ موعدِهم أجمعين.

سبب إيثار ذكر لفظ ﴿جَهَنَّمَ﴾:

بُعدُ قعرِ جهنَّم مشعرٌ بشدَّة عذاب الغاوين وهولِه

لم يقل الله تعالى مثلًا: (وإنَّ النّارَ لموعدُهم)، بدلًا من قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾، ونكتة ذكر ﴿جَهَنَّمَ﴾ دون بقية أسمائها: هو أنَّها لمّا كانت مشتقَّة من جهنام، أي: بعيدة القعرِ؛[1] ناسب أن تكون مكانَ وعدِهم واجتماعِهم، للإشعارِ بسوء موضعِهم وقبحِ حالِهم وشدَّةِ عذابهم، فإنَّ بُعدَ القعرِ لا يكونُ إلّا للأسوءِ حالًا.

عود الضَّمير في قولِه: ﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾:

إحصاءُ كلِّ من اتَّبع إبليسَ وجمعهم فردًا فردًا مع الغاوين في جهنَّم

يحتمل عود الضمير (هُمْ) على الاسم الموصول ﴿مَنِ﴾ في قولِه تعالى: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾؛ ليفيد الزَّجرَ عن اتِّباعِ إبليس، لِما أفادَه الكلامُ من أنَّ اتِّباعهم إبليسَ سببٌ في أن تكون جهنَّم موعدهم أجمعين، ويكون في التَّعبير التفاتٌ بمجيء الضَّمير بصيغة الجمع بعد ذكرِه مفردًا، ونكتة الالتفات الإيذانُ بإحصاء كلِّ من اتَّبع إبليسَ، وبجمعهم فردًا فردًا؛ ليجتمعوا مع جنسِ الغاوين في جهنَّم، كما يحتمل أن يعود الضَّمير إلى ﴿ٱلْغَاوِينَ﴾، فيكون على مقتضى الظّاهر، ويرجِّحه قربه من الضَّمير وظهور ملاءمته للضمير؛ لأنَّه بصيغة الجمع، ليفيدَ أنَّ جهنَّمَ موعدُ إبليسَ ومن اتَّبعَه، وأنَّ سببَ أن تكونَ جهنَّمُ موعدَهم هو كونهم من الغاوين، فيكونَ السَّببُ باعتبارِ

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 311، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 1/355.

مآلِ الاتِّباع[1]، وفي مجيء الضَّمير بصيغة الغائب بعد الخطابِ التفاتٌ، وذلك للإشعارِ بالاهتمام بوعيدِ الغاوين، ولتذكيرِهم بأنَّ إبليسَ قد انتهى أمرُه، ففيه معنى الزَّجر عن اتِّباعِه، ويأتي تفصيلُه في توجيه المتشابه.

نكتة التَّعبير بلفظ ﴿لَمَوۡعِدُهُمۡ﴾:

مكانُ موعدِ الغاوين واجتماعهم هو جهنَّم بفظاعتِها وهولِ عذابِها

لمّا كان المرادُ تفظيعَ حالِ المتَّبِعين إبليسَ يومَ القيامةِ، أو تفظيع حالِ إبليسَ ومن اتَّبعَه، وجاء الكلامُ على أسلوبِ التَّهديد لمن اتَّبعَ إبليسَ في إغوائِه؛ جعلَ مكانَ الوعدِ هو جهنَّم، لِما فيه من الدلالةِ على أنَّ الموعودَ ممّا لا يوصفُ في الفظاعةِ، كما أفادَ الكلامُ أنَّ جهنَّمَ مكانُ وعيدِهم واجتماعِهم[2].

بلاغة الاستعارة:

من يتَّبع الشَّيطان يضرب موعدًا له في جهنَّم

في قولِه: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ﴾ لم يقل: (وإنَّ جهنَّم لمصيرُهم أجمعين)، فعبَّرَ بالوعدِ؛ لأنَّه لمّا جعلَ جهنم موعدًا لهم، سواء أكان الموعد بمعنى المصدر أم اسم المكان، كان الكلامُ على طريقِ الاستعارة التَّهكُّميَّة، فكأنَّهم لمّا اتَّبعوا إبليسَ، أو لمّا كانوا من الغاوين؛ ضربوا وعدًا لهم في جهنَّمَ، فكانوا على ميعاد في مكانِ العذابِ[3]، للإشعارِ بأنَّ اتِّباع إغواء الشيطانِ - بما يلقيه من الوسوسةِ في روع البشر؛ ليكون داعيًا لهم على عمل المنهيّاتِ وترك المأمورات - يجرُّهم إلى الاجتماعِ في هذا المكانِ، ففيه مع التهكُّم تخويفٌ وتهديدٌ.

دلالة الإسنادِ في الآية:

تهديدُ الغاوين ومن يتَّبع إبليس بأنَّ جهنَّمَ مكانُ وعدِهم واجتماعِهم

لمّا جاء ﴿جَهَنَّمَ﴾ مسندًا إليه، و﴿لَمَوۡعِدُهُمۡ﴾ مسندًا - في

(1) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 9/195، والزمخشري، الكشاف: 2/579، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/146، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/212، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/79.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 6/479، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/79.

(3) الشهاب، عناية القاضي: 5/520، والآلوسيّ، روح المعاني: 7/296.

قولِه: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ - ولم يأتِ العكسُ بأنْ يقالَ: (وإنَّ موعدَهم أجمعين لفي جهنَّم)؛ آذنَ بأنَّ النَّظرَ متوجِّهٌ إلى الإخبار عن جهنَّم بأنَّها مكانُ وعدِهم واجتماعِهم على سبيلِ التَّهكُّم، ولما فيه من التَّخويف والتَّهديد - كما تقدَّم - لأنَّ الخبرَ مقصودُ الجملةِ، فالغرضُ من مجيءِ ﴿جَهَنَّمَ﴾ مسندًا إليه الإخبارُ عنها بأنَّها مكانُ وعدِهم، وليسَ المقصودُ الإخبارَ عن مكانِ وعدِهم بأنَّه جهنَّم، فكأنَّهم على علمٍ بجهنَّم، ويجهلون أنَّ موعدَهم فيها بسبب اتِّباعِهم الشيطان وغوايتِهم معه، كما أنَّه جعلَ المكانَ كلَّه موعدًا لهم على سبيلِ المبالغةِ؛ لأنَّه فصَّل في الآية اللّاحقة، فذكرَ أنَّ لها سبعةَ أبوابٍ.

دلالة قولِه تعالى: ﴿أَجْمَعِينَ﴾:

لا يتخلَّف أحدٌ من الغاوين عن موعدِ اجتماعِهم في جهنَّم

أفادَ اللفظُ تأكيد الضَّمير في قولِه: ﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾، ليفيدَ التَّنصيصَ على العموم، لدفعِ توهُّم إرادةِ التَّغليب في ضمير الجمع أو تخصيصه، والمعنى: أنَّ جهنَّم موعدهم أجمعين من غيرِ أن يتخلَّف منهم أحدٌ، كما يفيد معنى الحاليَّة، أي بمعنى: مجتمعين، أو يقال: يحتمل أن يكون ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيدًا للضَّمير، كما يحتمل أن يكونَ حالًا منه، والقولُ الأوَّل أجمعُ للمعنى[1].

توجيه المتشابه اللفظي في الآية:

مناسبة مجيء ضميرِ الخطابِ أو الغيبة لسياقِ الكلامِ

قال الله تعالى هنا في سورة الحجر: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ على صيغة ضمير الغائبين، وجاء في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ١٨﴾ [الأعراف: 18]، فغُلِّبَ في الضَّميرِ حالُ الْخِطابِ في سورة الأعراف؛ لِأَنَّ الْفَرْدَ الْمَوْجودَ مِنْ هَذا الْعُموم هوَ الْمُخاطَبُ،

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/363، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/212، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/79، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/163.

وَهوَ إبْليسُ، وَلِأَنَّهُ المَقْصودُ ابْتداءً مِنْ هَذا الْوَعيدِ؛ لِأَنَّهُ وَعيدٌ عَلَى فِعْلِهِ، وَأَمّا وَعيدُ اتِّباعِهِ فَبِالتَّبَعِ لَهُ، بِخِلافِ الضَّميرِ في آيَةِ الْحِجْرِ، وَهوَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ لِأَنَّهُ جاءَ بَعْدَ الْإِعْراضِ عَن وعيده بِفِعْلِهِ والِاهْتِمام بِبَيانِ مَرْتَبَةِ عِبادِ اللهِ الْمُخْلَصِينَ الَّذينَ لَيْسَ لِإِبْليسَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ، ثُمَّ الِاهْتِمامُ بِوَعيدِ الْغاوِينَ[1].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/51.